

صور شعرية التمرد وعلاقتها بانتقاء الألفاظ في شعر "أحمد مطر".

Pictures of poetry of rebellion and its relationship to the selection of words in Ahmad Matar's poetry

*سعاد بن عبد الله

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم، (الجزائر) floritaflor@outlook. fr

أ/ د حنيفي بن ناصر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، (الجزائر)، Pr. bennaceur@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/01

تاريخ القبول: 2021/03/24

تاريخ الاستلام: 2021/01/24

ملخص:

يعدّ الشاعر أحمد مطر من أبرز الشعراء المعاصرين الذين جعلوا الكلمة والفن شعاراً للرفض للسائد، وقد أعلن تمرداً على القوانين المقيدة لحقوق الإنسان وحرية، فجاءت أعماله في جلّها رفضاً للمأزق الإنساني الذي رُجّ فيه الإنسان العربي؛ فانتقى الكلمة وغدّاها بالحجج والغضب، فجاءت قصائده عنواناً للرفض والتمرد.

وقد هدفنا من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بعض قصائده؛ لكونه صوتاً من الأصوات الراضية لواقع الأمة. رافعاً سلاحه الشعري والكلمة المنتقاة بعناية للتعبير عن الرأي. ومن أهم النتائج المتوصل إليها: أن الشاعر أحمد مطر شاعر فاعل على مستوى الشعرية العربية، ليس كونه صاحب نص شعري، بل كونه بارع في انتقاء اللفظ المحاكي للموضوع، فحقق بذلك التوازن بين جماليات الفن والواقع.

كلمات مفتاحية: الشعرية، التمرد، انتقاء الألفاظ. الأثر.

Abstract:

The poet Ahmad Matar is considered one of the most prominent who carried the word and art as a slogan of rejection and protest against the prevailing situation. He declared his rebellion against laws restricting freedom, his works came a rejection of the humanitarian impasse in which the Arab human being was forced. He chose the words, and fed them with arguments.

Through this study, we aimed to shed light on some of his poems, being a voice among the voices that reject the reality, raising his poetic the carefully chosen word to express awareness. One of the most important results reached in this study is that the poet Ahmad Matar is an effective poet at the level of Arabic poetry, because he is skilled in selecting the expression that mimics the subject, thus achieving a balance between the aesthetics of art and reality.

Keywords: Poetry-Rebellion-Selection-Utterances-impact.

*المؤلف المرسل: سعاد بن عبد الله، الإيميل: floritaflor@outlook. fr

1. مقدمة:

إنّ تأمّل كلمة "تمرد" في العمل الأدبي يجعلنا نقف على مفهومها الفني واللغوي اللذان يسوقنا إلى معاني الرفض والعصيان والثورة، ولم يختلف الدارسون والنقاد في معنى التمرد، الذي يعني المعارضة والاحتجاج، حتى غدا ظاهرة أدبية تُعَدّي أعمالهم الفنية، وتستجيب لواقع لغوي وفني، ينتمي إليه كل فنان؛ "فالتمرد في الفن ليس ترفاً إبداعياً يمارسه الفنان بقدر ما هو موقف وجودي يحاول أن يفهم العالم ككل، وأن يشمل نوعاً من الجدل حول بعض جوانبه المعقدة ... وهنا مناط الحركة في أدب التمرد"¹، والجدل هو مَعول الكشف عن المأساة وشدة الصدام بين المعقول واللامعقول، ووجه من أوجه القلق الوجودي للإنسان المتذمّر من القيم السائدة.

ولمّا كانت الشعرية من شواغل النظرية الأدبية، والتي تعنى بدراسة الأنساق المتحركة في بناء النص ومستوياته (اللفظي والتركيبى والدلالي) نجد الشاعر أحمد مطر قد تفتن لهذه الوظيفة الأساسية، فاعتمدها وسيلة لربط الجماليات بموضوع قضاياها، وهو التمرد.

ونظرًا لما تتمتع به الشاعر من طاقة فنية وإبداعية حاولنا أن نقف على بعض قصائده لكشف العلاقة بين التمرد واللفظ، واخترنا لذلك العنوان التالي: **علاقة شعرية التمرد بانتقاء الألفاظ (قصائد أحمد مطر نموذجًا).**

وأمام طبيعة العنوان الذي يجمع بين الأدب والفكر طُرحت إشكالية لهذه الدراسة كالتالي: ما علاقة الشعرية بانتقاء اللفظ؟ وما أثرها في ذلك؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية سلطنا الضوء على أهم القضايا التي بلورت فكرة الرفض لدى الشاعر، فَعُنِينَا بالألفاظ المستخدمة، وقد شملت هذه الدراسة العناصر التالية:

المقدمة: وقد تضمنت نبذة عن الدراسة، وأهميتها، والإشكالية المطروحة فيها.

أما العرض فمجموعة العناصر تعبر عن قضايا الرفض التي خاضها الشاعر على النحو الآتي:

1- التمرد على سياسة الحكام الاستبدادية.

2- التمرد على واقع الأمة ورفضه.

3- تمرد الشاعر ورفضه أخلاق الإعلاميين المتواطئين على الشعوب.

4- تمرد الشاعر ورفضه تملُّق الشعراء للحكام.

وقد دُوِّلَ البحث بخاتمة عرضت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

وجاء الفهرس آخر العناصر لعرض مجموعة المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة.

المنهج المتبع في الدراسة:

استخدمنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي وذلك باستقراء وتحليل قصائد لمطر؛ لما تحمله هذه القصائد من ذخيرة لفظية وفكرية عاجل من خلالها تمرده على مواضيع رأى فيها بعدا عن الصواب.

وفيما يلي تمهيد يُبَيِّنُ المسارَ الأدبيَّ لأحمد مطر.

2. المسار الأدبي لأحمد مطر:

فالشاعر أحمد مطر يعدُّ جزءًا من التجربة الجمالية والإبداعية المعاصرة، وإنتاجه الأدبيُّ من أكثر الأعمال المستهلكة لقضايا الإنسان العربي؛ فقد كان يشعر بمحنة الأمة، وكانت "تدفعه المناسبات إلى انتقاد بعض الظواهر الاجتماعية، وتَحْتِهُ ظروف أخرى إلى الإشادة ببعض القيم"²، وقد استطاع الخروج من معطف التداعيات التي تُثيرها الظروف العامة، ليتغلغل في

النفس البشرية والوجدان بأدوات فنية جعلته "يتمتع بمكانة مرموقة في الشعر العربي؛ إذ تتوالى الدراسات النقدية حول شعره وتتجدد؛ لعمق محتواه، وغنى شخصيته، وتعدد عطاءاته"³.

وقد أضحى شاعرًا فاعلاً على مستوى الشعرية العربية، "ليس باعتباره صاحب نصٍّ شعريٍّ متميزٍ فقط؛ وإنما لكونه استطاع -ببراعة- أن يُحقق التوازن الصعب بين جماليات الفن وانكسارات الواقع"⁴، فالقضايا التي يطرحها مطر واضحة الأبعاد تاريخيًا وحضاريًا، مقرونة بالمعطيات الموضوعية الواقعية، حتى غدا شعره محكومًا بمدى استيعابه للواقع.

واتسم مساره الإبداعي بخصوصيات الطرح الشعري الذي يجمع بين الأنا والآخر، والواقع -في نظره- فيه الكثير من المغالطات والأفئدة التي يسعى إلى فضحها؛ من خلال "نشر قصائده، بعد أن سعى إلى تكثيفها واختزالها، وزرع المفارقة الساخرة فيها، في إطار إدانة الأنظمة الحاكمة، ولاسيما الشمولية منها"⁵، فطالما تهكَّم وسخر من الأنظمة، "فدخل المعتزك السياسي من خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء قصائده على المنصة، مشحونة بقوة عالية من التحريض، وتتمحور حول موقف المواطن من السلطة"⁶.

ومن أجل كشف القضايا والظواهر التي سيطرت على الأمة والإنسان وتحريضه على النهوض ورفضها حشدًا من الألفاظ والكلمات ما يدلُّ على الانتفاضة والثورة والتمرد، ووظف مصطلحات من أجل التأثير في المتلقي؛ إذ أن كلماته فيها من الإيحاء والرمزية ما يجعل المتلقي طرفًا في القضية.

واللغة في نظره لا تقتصر على التواصل أو التوصيل، "إنما هي كينونة حياة ووجود"، وطبيعي إزاء هذا التصور أن يُحمِّلَهَا أبعادًا ورؤى.

3. صور التمرد في قصائد أحمد مطر:

1.3 التمرد على سياسة الحكام الاستبدادية:

لقد استوعب الشاعر مبكرًا الصراع القائم بين السلطة والشعب؛ فكان المبادر الأول لرفض هذه السياسات التي لم تتوان في كسر شعوبها وإذلالها، فراح يُصوِّر كيف يمارس هؤلاء الحكام سياستهم الاستبدادية، وانطلق محتجًا منددًا بها، متمردًا عليها، واستخدم لذلك أقوى الكلمات للتعبير عن رفضه لشخصٍ وكيانات ألهمت قريحته؛ وها هي قصيدة "تمرد"⁷ تُعلن بعنوانها عن معارضته ورفضه؛ حيث يقول:

هَتَفَ الحَائِطُ: يَكْفِي

رَأْسُكَ انْدَقَّ

وَقَلْبِي تَحْتَ رِجْلَيْكَ انْقَطَرُ

أَنْتَ مُضْطَرٌّ؟

تَمَرَّدُ..

لَوْ تَمَرَّدْتَ فَهَلْ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا الضَّرَرِ؟

نَحْنُ مَخْلُوقَانِ كَيْ نَحْضِنَ شَبَابًا وَبَابًا

وَلِكَيْ نَحْمِلَ رَقًّا وَكِتَابًا
لِكَيْ نَحْمِيَ الْأَسْرَ
نَحْنُ يَا مِسْمَارُ لَمْ نُخْلَقْ لِتَعْلِيْقِ الصُّوْرِ.
* * *

هَبَطْتُ مِطْرَفَةً..
رَاوَعَهَا الْمِسْمَارُ، أَذْنَتْهُ
تَنَحَّى
هَبَطْتُ
رَاغَ
أَصَابَتْهُ
تَلَوَّى
هَبَطْتُ
فَامَ قَلِيلًا.. وَأَنْكَسَرَ.
* * *

خَارِجَ الْمَنْزِلِ كَانَتْ صُورَةُ الْغَرِّ الْأَعْرَ
فَوْقَ أَعْنَاقِ الْجَمَاهِيرِ
وَمَا بَيْنَ أَيَادِيهِمْ
وَفِي كُلِّ مَمَرٍ
وَاهْتَفَاتُ لَهُ هَاطِلَةٌ مِثْلَ الْمَطَرِ.
* * *

صَحِكَ الْحَائِطُ:
لَا نَرْضَى بِأَنْ نَحْمِلَ عَارًا
وَإِذَا يَوْمًا حَمَلْنَاهُ اضْطِرَّارًا
فَعَلَى أَيْدِي الْبَشَرِ
أَلْفُ شُكْرِ لَكَ يَا رَبِّ عَلَى أَنَّا
حَدِيدٌ وَحَجَرٌ!

ففي هذه الأبيات وظّف الشاعر ألفاظًا تُعبّر عن رفضه الجامح؛ فهو يسعى ليُحقّق غايته الشعرية، فلفظة (هتف) -التي تعني مدّ الصوت والصياح بدرجة معينة- دلالة على الرفض والاحتجاج، وقد أردفها بكلمة "يكفي" التي تدل على نفاذ الصبر، والأسطر الشعرية كلها زاخرة بالثورة والتمرد وإعلان وقت التغيير والخروج من تحت الدق والضرب.

فالجدار الذي يتحمل دق المطرقة وحفر المسمار لم يعد بإمكانه التحمل، وتبدو براعة الشاعر في اختياره للجدار الذي يدُلُّ على الجسم المادي عديم الروح والإحساس، وقد استطاع أحمد مطر أن يخلق له إحساسًا بالمرارة والألم، وألبسه روحًا ضاقت ذرعًا؛ فدعا هذا الجدار إلى التمرد: "أنت مضطر؟ / تمرد / لو تمردت فهل أكثر من هذا الضرر؟"، فالتمرد هنا سيكون لحظة تغيير، وما سينتج عنه من ضرر لن يختلف عما أنتجه الصبر والتحمل الذي لم يكن أهون، وقد اختار الشاعر لهذا التغيير الضمير الجمعي الذي يجمع الجدار والمسمار في وظيفتهما الشريفة في الحياة: "نحن مخلوقان كي نحمل رفاً وكتاباً/ لكي نحمي الأسر/ لم نُخلَق لتعليق الصور".

إنه التشكيل اللفظي البارع الذي يفيض بالانزياح؛ ليعلن عن التبرأ من الوظيفة اللاعقلانية التي تسند إلى كيان يتحمل من أجل العيش الكريم الذي أعلن رفضه: "نحن لا نرضى بأن نحمل عاراً"، وقد استخدم الشاعر وفق هذا التصور لغة ذات أبعاد وجودية؛ ليخلق لنصّه مساحة واسعة لحرية التعبير وكسر الجليد.

إن سعي مطر لكشف غطاء تنضوي تحته معاناة الإنسان الفاضل، وتنمو فيه مطاعم الحكام نموّ الجراثيم حول الفريسة التي أهلك عفتها الزمن — هذا جعل قصائده الثائرة تُقدِّم لنا شاعرًا فحلاً جعل من كلماته خادماً للأمة، وقدم نفسه شهيداً لها؛ حيث يقول: "ولا تدري كم أنا سعيد، فجميل جداً أن يكون المرء شاعرًا في خدمة أمته، لا مُمثلاً لقبيلة معينة".⁷

2.3 تمرد أحمد مطر ورفضه واقع الأمة:

رثى الشاعر كثيرًا حال الأمة العربية؛ لضياح أمانيتها وأهدافها، وانحاز للشعب العربي الذي غلبه همُّ الفساد السياسي والاجتماعي، فسعى الشاعر إلى التعبير عن هذه الأوضاع؛ لذا لم يسع إلى التألُّق في شعره، وابتعد عن الديباجات والفخامة، ولم يخدم أهل الاختصاص بقدر ما خدم القضية ذاتها، فاستخدم لذلك لغةً يستنشقها الإنسان المأزوم الذي يعزف عن التراكيب المعقَّدة تعقُّد قضاياها ومشاكله، وقد كانت كلمات مطر صرخات استغاثة تطلُّب إعادة الكرامة والحريات المسلوبة، ولعل شعره أصدق رسالة تُوجِّه للإنسانية؛ لتستشعر مأساة الشعوب ومعاناتها، وقد تبدَّت المفارقة واضحةً من خلال إبراز الشاعر للطرفين المتناقضين اللذين تتضارب عواطفهما وأفكارهما، فيقع المجتمع ضحيةً لهذا الصراع الدرامي الذي تشارك فيه أطرافٌ لا يُوجع منها إلا ما يصدر من أبناء الجلدة والوطن؛ حيث يقول في قصيدة: "قومي إخبلي ثانية"⁸:

فَصِيحُنَا بَبَعَاءَ

قَوَيْنَا مُؤْمِنَاءَ

دَكِينًا يَشْمَتُ فِيهِ الْعَبَاءُ

وَوَضَعْنَا ... يَضْحَكُ مِنْهُ الْبُكَاءُ

تَسَمَّمَتْ أَنْفَاسُنَا

حَتَّى نَسِينَا الْهَوَاءَ

وَأَمْتَزَجَ الْحَزِيءُ بِنَا

حَتَّى كَرِهْنَا الْحَيَاءَ

يَا أَرْضَنَا ... يَا مَهْطَ الْأَنْبِيَاءِ

ضَاعَ رَجَاءُ الرَّجَاءِ

فِينَا، وَمَاتَ الْإِبَاءُ
يَا أَرْضَنَا لَا تَطْلُبِي مِنَّا ذُنُوبَنَا كَبِيرَاءُ
قُومِي احْبِلِي ثَانِيَةً
وَكَشِّفِي عَن رَجُلٍ
لَهُؤُلَاءِ النَّسَاءُ.

فقد قدّم الشاعر في هذه الأبيات تصوراً عاماً للوضع بأسلوب يزرع الألم، ويشعر بالفجاجة؛ حتى يُثير المتلقي ويسحبه لدائرة الغضب والاحتجاج والمشاركة في القضية، وقد جاءت سخريته واحتقاره لهذه الفئات "فصيحنا، قويننا، ذكيّنا، ووضعنا" نتيجةً لسخطه على الوضع الذي تعانيه الأمة في ظلّ قصور حكامها وعجزهم، وضيق حال شعوبها، حيث قال "تسممت أنفاسنا، وامتزج الخزي بنا، ضاع الرجاء، مات الإباء"؛ لذا لم يكن بيده إلا الدعوة إلى الثورة على الوضع بقوله: "يا أرضنا لا تطلبي من ذُنُوبنا كَبِيرَاءُ/ قومي احبلي ثانية/ وكشّفي عن رجل".

ولقد خلق الشاعر في هذه الأبيات لغة جديدة من خلال ابتكار علاقات إنسانية يصعب توقعها؛ فهو يدعو الأمة بأن تُجِب من جديد؛ لأن الموجودون إمّا مهزوم وإمّا خائن، ودهشة التشكيلات اللغوية هنا تنتج تشظيًّا دلاليًّا عميقًا يجعلنا نقف على براعة الشاعر في ابتكار لغة بسيطة، ألفاظها واضحة، تؤسس للإنسان حقيقة وجوده. ولم يقف الشاعر على القضايا العامة للأمة دون أن يعطي الاهتمام الكبير للقضية الفلسطينية التي خانتها مجالس الأمم ومؤتمراتها ودوراتها، وسعى إلى فضح تورطهم في ضياعها؛ إذ يقول في قصيدة "انتفاضة"⁹:

طَفَحَ الْكَئِيلُ
وَقَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلًا ثَقِيلًا
نَحْنُ لَا نَجْهَلُ مَنْ أَنْتُمْ
عَسَلْنَاكُمْ جَمِيعًا
وَعَصَرْنَاكُمْ
وَجَفَقْنَا الْعَسِيلًا
إِنَّا لَسْنَا نَرَى مُعْتَصِبَ الْقُدْسِ
يَهُودِيًّا دَخِيلًا
فَهُوَ لَمْ يَقْطَعْ لَنَا شَبْرًا مِنَ الْأَوْطَانِ
لَوْ لَمْ تَقْطَعُوا مِنْ دُونِهِ عَنَّا
السَّيِيلًا.

وتبلغ مأساة الشاعر ذروتها عندما تُنتهك الحرمات، ويُسجن الشرفاء، وتُدنّس المقدسات على مسمع ومرأى من الحكام

المتخاذلين؛ إذ يقول في ذلك¹⁰:

فَالْكُلُّ قَوَادٌ
تَلْقَى الدَّرْسَ فِي مَبْعَى الْعِدَا

ثُمَّ دَعَوُهُ قَائِدًا
وَهَيَّأُوا مَقْعَدَهُ
لِيَمْتَصِنَا أَبَدًا
يَحْرُسُ نَفْطَنَا هُمْ
وَيَحْرُسُونَ الْمَقْعَدَا.

يؤسس قول الشاعر (طفع الكيل) لكسر العلائق، والدعوة إلى الخلاف؛ والتحريض على رفض هذا الواقع المؤسف، ويردف هذا الرفض بقرار التغيير والتحول "وقد آن لكم أن تسمعوا قولاً ثقيلاً"، ولفظة "آن" تدل على قوة الموقف في زمن الحاضر.

وقد أراد الشاعر أن يصنع بهذه الألفاظ إحساساً جمالياً تخيلياً يتعد عن القارئ العادي إلى غير العادي؛ أي إلى الذي بيده شؤون الأمة عامة والقضية الفلسطينية خاصة، والذي تكشف للوعي ماهيته: "نحن لا نجهل من أنتم"، فهذا خطاب موجّه بألفاظ تُجسّد إحساس التلاشي والتجريد الذهني، فقارئ هذا السطر يدرك أنه أمام معضلة لغوية يُجسّدها الشاعر لإبراز ملمح شعري غير معتاد (كشف الحقيقة)؛ ليربطها بجدلية تنم عن مقصد لغوي مرتبط بتجربة الشاعر ووعيه في تجريد العلاقات والعملية الإسنادية (غسلناكم، وعصرناكم، وجففنا الغسيل).

وهنا يلاحظ القارئ الإسناد المتلاشي وشعرية البياض والسواد، وكيف تكشف الجدلية اللغوية بين الكلمات ومراحل تطور العلاقة نحو التلاشي والتباعد والانقلاب في آخر المطاف، وهنا تظهر ملامح التمرد والانسلاخ عن هذا الوجود المزيف، والكشف عن درجة الوعي: (إننا لسنا نرى مغتصب القدس/ يهودياً دخيلاً/ فهو لم يبق يقطع لنا شبراً من الأوطان/ لو لم تقطعوا من دونه عنا/ السبيل)، فيعتمد الشاعر على جمع المتضاد؛ لجعل الشعر راصداً للحياة ومناقضاتها: (لم يقطعوا/ لو لم تقطعوا)، فالحركة الفكرية يلبسها ألفاظاً بسيطة؛ ليكشف عن التأثير العميق بقضية فلسطين التي ربطها بنسق لغوي مقتضاه انتقاء اللفظة المناسبة للموقف؛ وبالتالي تحقيق الرسالة، وهي التمرد والإعلان جهراً عن الرفض والدعوة إلى التغيير.

3.3 تمرد أحمد مطر ورفضه أخلاق الإعلاميين المتواطئين على الشعوب:

¹¹ شَنَّ أحمد مطر حرباً على وسائل الإعلام؛ وذلك لتواطئهم وتبعيتهم وغياب ضمائرهم؛ فيقول في ذلك:

إِعْلَامُنَا فَنَّا
بَلْمَسَةِ سِحْرِيَّةٍ يَحْتَرِلُ الْأُوطَانَ
وَيُوجِزُ السُّكَّانَ
وَيَكْبِسُ الْأَزْمَانَ
وَيَحْقِنُ الْجَمِيعَ فِي كَبْسُولَةٍ
يَدْعُوهَا (مُخَفَّان)
مُخَفَّان..
يُعَادِرُ الْبِلَادَ فِي رِعَايَةِ الرَّحْمَنِ
مُخَفَّان..

يَجْلِسُ فِي الدِّيْوَانِ

مُخَقِّقًا..

يُمَسِّكُ بِالْفَنَاجَانِ.

فهنا يوجز الشاعر عمل الصحافة في ملاحظتها للحاكم وتصوير واقعه المفرغ من الأهداف والطموحات؛ فكل وجوده مرتبط بذهاب وإياب، أما القارئ فيلاحظ أنَّ الشاعر تغيَّرت لهجته بتغيُّر المواقف حول بعض القيم، وهو ما يُسمَّى: تعزيد الفكرة، ومن ثمَّ دحضها بالمعاكسة والمحو.

وثمة شكل من أشكال الغضب الداخلي الذي يحتاج الشاعر فيجعله يُوظَّف ألفاظًا مختصرة تدلُّ على تكتم الإعلام عن الحقيقة وخيانتته لمبادئه، فعندما يُوظَّف (يختزل، يوجز، يكبس، يحقن) يجعل المتلقي شاخصَ البصر أمام هذا الكم الهائل من الدلالات، ويدرك القارئ إحساس الشاعر برغبته القوية في سحق هذا الإعلام "الفنان" الذي يتفنَّن في حجب الحقيقة، مع تبعيته العمياء لخدمة الخيانة، ونفي كلِّ الأوضاع أمام ملاحظته لـ "محقن" (يعود، يجلس، يمسك)، وقد عبر الشاعر بالأفعال المضارعة التي تدلُّ على التجدد والاستمرار، تجدد الاهتمام بالحاكم وحده، مع إهمال الشعب، وهذا مما يؤدي إلى الثورة والتمرد.

4.3. تمرد أحمد مطر ورفضه تملُّق الشعراء للحكام:

لا يكاد ينصرف الشاعر في غضبه عن الطبقة المثقفة حتى يكشف غطاء الشعراء المتملِّقين، الذين لا يهمهم سوى مصالحهم التي لا تُنال إلا بالتمرُّغ تحت قدمي الحاكم، فيفضح الشاعر نفاقهم الذي كان سبيلهم في التعامل مع الآخر على حساب الإنسانية والمبادئ، وتبرُّاً من الشعر العاجز أمام الظلم، وكلِّ شاعر شغل باله الغزل والمديح ولم يهتم بالوطن، يقول في قصيدة "التكفير والثورة"¹²:

كفرتُ بالأقلام والدفاتِر
كفرتُ بالفُصحى التي
تُحبلُ وهيَ عاقِر
كفرتُ بالشَّعر الذي
لا يُوقِفُ الظُّلمَ ولا يُحرِّكُ الضمائر
لَعنْتُ كُلَّ كَلِمَةٍ
لَمْ تنطَلِقْ من بعدها مسيرة
ولَمْ يَخُطَّ الشعبُ في آثارها مَصريرة
لَعنْتُ كُلَّ شاعرٍ
ينامُ فوقَ الجُمَلِ النَّديَّةِ الوثيرة
وَشَعْبُهُ ينامُ في المَقابرِ
يستلهمُ الدَّمْعَةَ خمرًا
يُغازِلُ الشَّفَاةَ والأُثْدَاءَ والضفائرِ
في زَمَنِ الكلابِ والمخافِرِ
ولا يرى فوهةَ بُندُقيَّةٍ

حينَ يرى الشِّفاهَ مُستَجِرَةً!

ولا يرى رُمانةً ناسِفةً

حينَ يرى الأثداءَ مُستديرةً!

ولا يرى مِشْنَقَةً

حينَ يرى الصِّفيرةَ!

لا يقتني قبلَةً

كي يكتُبَ القصيدةَ الأخيرةَ

وهنا لا يمكننا تجاوز العنوان الذي يفتح بوابة التمرد على مصرعيها، ويُعلن الكفر بكلمة الشعر الخاذلة، واللغة والأقلام الخائنة المتملقة التي لم تلتزم كلمة الشرف في الدفاع عن الحق وتحريك الضمائر.

والكفر نقيض الإيمان، وفي توظيفه لكلمة "كفرت" جملة من الدلالات؛ فكفره جاء بعد الإيمان بأنَّ للكلمة وظيفة مقدّسة في الحياة، هي الكفاح من أجل الإنسان والعدل، وأمام صراع القوى، وبعجز هؤلاء المتملقين المنافقين عن أداء هذا الواجب لم يعد هناك ما يُقنع الشاعر بالبقاء على ملّتهم العاجزة المُقَصِّرة في تحريك الضمائر، فوصل به الأمر إلى اللعن؛ حيث لعن الشعراء الذين يُحْتَبَوْنَ وراء الكلمات الزائفة والمزيفة، فجاءت القصيدة لعنات متتالية على تلك الظواهر الغريبة التي هزّت الضمائر، وحطّمت القيم.

وقد اختار بامتياز لفظتين عميقتين في الدلالة؛ هما: "كفرت" و"لعت"، فاللعنة تعني الرغبة في حلول السوء والشر على أمر ما؛ نتيجة استياء، كما تعني الطرد وإلحاق الخزي بكلّ شيء لا يُعقَل، وهنا يلعن الشاعر (كلّ شاعر/ينام فوق الجمل النديّة الوثيرة/يستلهم الدمعة خمرًا/يغازل الشفاه والأثداء والصفائر)، فانسلاخ الشاعر عن جوهر الشعر وغايته هو خيانة عظمى؛ لأنّ خلف كل شاعر قضية أمة وإنسان يجب أن ينتصر لها.

4. خاتمة:

- 1- ألهمّ الواقع العربي المعاصر الشعراء روح الثورة والتمرد، ومن هؤلاء الشعراء: أحمد مطر.
- 2- أضحى أحمد مطر شاعرًا فاعلاً على مستوى الشعرية العربية، ليس باعتباره صاحب نصّ شعري متميز فقط، وإنما لكونه استطاع -ببراعة- أن يحقق التوازن الصعب بين جماليات الفن وانكسارات الواقع.
- 3- اتسم المسار الإبداعي لمطر بخصوصيات الطرح الشعري الذي يجمع بين الأنا والآخر في دوامة الصراع الأبدي.
- 4- إن الأساس الذي تقف عليه أعمال مطر هو التمرد والثورة على الظلم والفساد اللذين تنوعت صورهما في المجتمعات العربية.

5- من صور التمرد عند أحمد مطر التمردُ على أخلاق الإعلاميين المتواطئين على شعوبهم.

6- ومن صوره أيضاً التمرد على تملق الشعراء للحكام.

7- ارتبط اسم مطر بالشعر الساخر المتمرد، وهو أمرٌ ليس بالحمل الهين في عصر يشهد كلَّ ألوان العواصف الاجتماعية والسياسية التي لا ضحية لها غير الإنسان الصالح، وما يحمله من قيم، وقد وضع مطر كلَّ ديوانه خدمة للإنسان والقضايا العادلة.

5. مراجع البحث:

1. أحمد مطر، الأعمال الكاملة، الإسراء للنشر، نابلس، فلسطين، 2015م.
2. رجاء النقاش، شاعر جديد يلفت الانتباه، مجلة المصور، القاهرة، 1987م.
3. سمير خليل، تقويل النص "تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية"، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2015م.
4. عميش العربي، القيم الجمالية في شعر محمود درويش، دار كوكب العلوم، 2010م.
5. محمد أحمد العزب، ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر، 1976م.
6. محمد فؤاد، وديب سلطان، الغضب والتمرد في شعر أحمد مطر، مجلة جامعة الأقصى، غزة (فلسطين)، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الثامن، العدد الأول.
7. يوسف حناشي، الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، تونس، الدار العربية للكتاب، ط (1)، 1984م.

6. الإحالات:

- 1- محمد أحمد العزب، ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر، 1976م، (ص 80).
- 2- يوسف حناشي، الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، تونس، الدار العربية للكتاب، ط (1)، 1984م، (ص 50).
- 3- محمد فؤاد، وديب سلطان، الغضب والتمرد في شعر أحمد مطر، مجلة جامعة الأقصى، غزة (فلسطين)، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الثامن، العدد الأول، (ص 2).
- 4- عميش العربي، القيم الجمالية في شعر محمود درويش، دار كوكب العلوم، 2010م، (ص 44).
- 5- سمير خليل، تقويل النص "تفكيك لشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية"، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2015م، (ص 121).
- 6- أحمد مطر، الأعمال الكاملة، الإسراء للنشر، نابلس، فلسطين، 2015م، (ص 7-8)، (مقدمة الكتاب).
- 7- رجاء النقاش، شاعر جديد يلفت الانتباه، مجلة المصور، القاهرة، 1987م، (ص 40-41).
- 8- أحمد مطر، الأعمال الشعرية الكاملة، (ص 170).
- 9- المرجع نفسه، (ص 61).
- 10- المرجع نفسه، (ص 109).
- 11- المرجع نفسه، (ص 255).
- 12- المرجع نفسه، (ص 84).